معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام من خلال آيات القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد الدكتور

حمدان بن حميد بن بريك السلمي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية- كلية العلوم والآداب، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

من ٥٨٥ إلى ٦٨٢

Landmarks Of God In The Life Of The Prophets, Peace Be Upon Them Through The Verses Of The Holy Quran Objective Study

Prepare

dr Hamdan bin Humaid bin Braik Al-Salami

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences-Department Of Islamic Culture And Language Skills - College Of Arts And Sciences- University Of Jeddah- Saudi Arabia

معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام من خلال آيات القرآن الكريم
دراسة موضوعية

حمدان بن حميد بن بريك السلمي
قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية- كلية العلوم والآداب، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: nab3ha@gmail.com

الملخص:
يهدف البحث إلى معالجة مفهوم الربانية ومجالاتها التي أشار إليها القرآن في حديثه عن الأنبياء، ويستظهر معالمها في حياتهم، بوصفها الميثاق الذي يربط الناس بما يحيي قلوبهم ويجعلهم على الصفة التي يحبها الله تعالى منهم، فالربانية صفة عظيمة تعمل على تحقيق ذلك في حياة الأفراد والمجتمعات، لا سيما أن الارتباط الوثيق بين مفهوم الربانية وبين المقامات العالية في تزكية النفس وإصلاح القلب وبلوغ درجات الإحسان، هو أساس الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة.

ومن أهم نتائجه أن من معالم الربانية في حياة الأنبياء في المعتقد والتصور: كمال علمهم بالله تعالى ويقينهم بما عنده، وذلك متحقق بتوحيدهم لله سبحانه، وقوة علمهم به، وانقيادهم لأمره في تبليغ رسالته للناس، واستجابتهم لأوامره ووحيه في الابتلاءات والاختبارات، ومن معالمها في القصد والتوجه: خلوص نفوسهم لله تعالى، واستغناؤهم به عن كل شيء سواه وترفعهم عن الدنيا، وإرادتهم وجه الله، وتعلق قلوبهم بالدار الآخرة بدعوة أقوامهم للإيمان باليوم الآخر، وهجرتهم إلى الله وتحملهم الصعاب إيثاراً للآخرة، ومن معالمها في السلوك والامتثال: عنايتهم بعبادات القلب والجوارح بتضرعهم إلى ربهم وسؤاله قضاء حوائجهم، ودعائه بالثبات على الحق والموت على التوحيد والإسلام، وقوتهم في طاعة الله، وكمال بذلهم في نصرة الدين، وصبرهم على سخرية أقوامهم منهم، وعلى أقدار الله تعالى وما ينزل بهم من البلاء.

الكلمات المفتاحية: الربانية ، الأنبياء، القيم ، القدوة ، السلوك، الأخلاق، القصد، المعتقد.

Landmarks Of God In The Life Of The Prophets, Peace Be Upon Them Through The Verses Of The Holy Quran Objective Study

Hamdan Bin Humaid Bin Braik Al-Salami

Department Of Islamic Culture And Language Skills - College Of Arts And Sciences- University Of Jeddah- Saudi Arabia

Email: nab3ha@gmail.com

Abstract:

The research aims to address the concept of Godliness and its fields referred to in the Qur’an in its talk about the prophets, and to show its features in their lives, as the pact that connects people to what revives their hearts and makes them the quality that God Almighty loves from them. Especially since the close connection between the concept of Godliness and the lofty stations in purifying the soul, reforming the heart, and attaining degrees of benevolence, is the basis for success and righteousness in this world and the hereafter.

One of its most important results is that one of the features of divineness in the life of the prophets in belief and perception: their perfect knowledge of God Almighty and their certainty of what He has, and this is achieved by their monotheism of God Almighty, the strength of their knowledge of Him, their submission to His command in conveying His message to people, and their response to His commands and revelations in trials and tests, and among its features in purpose. Orientation: the purification of their souls to God Almighty, their self-sufficiency in Him from everything besides Him, their elevation of the world, their desire for the face of God, their attachment to the Hereafter by calling their people to believe in the Last Day, their migration to God and enduring difficulties in favor of the Hereafter, Among its features in behavior and compliance are: their concern for the worship of the heart and limbs by their supplication to their Lord and their asking Him to fulfill their needs, and their supplication for steadfastness on the truth and death upon monotheism and Islam, their strength in obedience to God, their perfect effort in supporting the religion, their patience over their people’s ridicule of them, and the decrees of God Almighty and what brings them down from the scourge.

keywords: **Godliness, Prophets, Values, Role Models, Behavior, Morals, Intent, Belief.**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد نزل هذا القرآن العظيم ليكون منهاج حياة، وواقع سلوك، وحقيقة تظهر على الجوارح، وفي النفوس، وبين الأفراد، وفي عموم حياة المجتمعات، وهو المعين الذي لا ينضب، والسلسبيل الذي لا ينقضي، لا يزيد بكثرة الورود عليه إلا فيضاً بما يهدي للتي هي أقوم.

وفي ميدان تفسير كتاب الله تعالى، تبرز اليوم أهمية خاصة لجانب من الدراسات القرآنية الموضوعية، تلك التي تستخرج من ثنايا كتاب الله تعالى ما يحتاج إليه الناس اليوم في فكرهم وسلوكهم، وهم يعاركون هذه الحياة المعاصرة وما يكتنفها من تحديات ومتغيرات، وانسياق وراء الماديات والغرائز والملهيات – وهو ما طال كثيراً من المسلمين كما طال غيرهم، مما يؤكد أهمية توجيه الجهود العلمية إلى هدايات القرآن العظيم، فهو الحصن الحصين، وهو صمّام الأمان للفرد والمجتمعات إن هم أخذوا به.

وإنه بعد المقارنة بين عدد من الموضوعات والقضايا القرآنية التي تصبّ في هذا الشأن، والرغبة بأن يكون للموضوع المختار أهميةً مباشرةً في معالجة تلك التحديات المادية المعاصرة في حياة المسلمين: استعنت الله تعالى على أن أتناول موضوع " معالم الربانية" من خلال دراسة علمية تلتزم منهجية التفسير الموضوعي، معتنياً فيها ببيان مفهوم الربانية في كتاب الله تعالى ومجالاتها، ثم باذلاً الجهد في استقراء آثار تلك الربانية مما يتجلى في

حديث القرآن الكريم عن الأنبياء عليهم السلام، خصوصاً وأن هذا الموضوع هو مما يتركز الحديث عنه في القرآن الكريم ويكاد أن يستوعبه، وهذا الاختصاص يزيد من عمق الدراسة الموضوعية القرآنية.

وبعد التنقيح والدراسة والمشاورة، انتهيت – بعون الله تعالى – إلى أن أكتب بحثاً بعنوان: معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام من خلال آيات القرآن الكريم ".

أسأل الله تعالى أن يشرّفنا بخدمة كتابه الكريم، وأن يمنّ علينا بالإخلاص والسداد، وبالعلم النافع والعمل الصالح.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن الدافع الرئيس للبحث في هذا الموضوع هو الرغبة في نَيل شرف خدمة كتاب الله تعالى، وبركة التعمق مع آياته الكريمة، ورجاء الثمار اليانعة التي سوف يجنيها كل من يعيش مع دلالاته وهداياته، مع شعوري بأهمية الدراسات القرآنية الموضوعية التي تعالج قضايا المسلمين المعاصرة – مما ينضبط بالمعايير العلمية التي تحافظ على جدية الدراسة وعمق تأثيرها.

وبطبيعة الحال، ومع انطلاقي مما سبق: عملت على أن يكون للموضوع المختار أهميةً تحفّز على بذل الجهد المضاعف والوقت الممتد، رجاء أن تكون الفائدة قيّمة، ينتفع منها الباحث قبل غيره، ثم من يحتاج إليها من إخوانه المسلمين.

وإن أهمية هذا الموضوع القرآني الكريم يمكن أن تظهر من خلال ما يلي:

١- الحاجة الماسة اليوم إلى ما يقرّب الناس إلى معاني الإيمان والعبودية الحقة لله تعالى، فطغيان الماديات ظاهر، وجهود أرباب الشهوات والشبهات كبيرة، والحل الناجح هو ربط الناس بما يحيي قلوبهم ويجعلهم على الصفة التي يحبها الله تعالى منهم،

والربانية صفة عظيمة تعمل على تحقيق ذلك في حيـــاة الأفـــراد والمجتمعات.

٢- الارتباط الوثيق بين مفهوم الربانية وبين المقامات العالية فـــي تزكية النفس وإصلاح القلب وبلوغ درجات الإحسان، وهذا هـــو أسّ فلاح العبد في الدنيا والآخرة.

٣- الفائدة الكبيرة من التعمق في هدي الأنبياء في جوانبه المختلفة، كيف لا وهم القدوة التي أُمرنا بالتأسي بهم والاهتداء بهـــديهم، والقرآن الكريم جلّى من صفاتهم وأحوالهم ما يجدر العناية بـــه في ميدان الدراسات القرآنية خصوصاً.

الدراسات السابقة حول الموضوع

بناء على ما قمت به من البحث في أدوات البحث الموضوعي: من فهارس المراكز العلمية، والبحث في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وســؤال جملة من الباحثين والمتخصصين، والتواصل مع قاعدة المعلومـــات بمركـــز الملك فيصل للدراسات والأبحاث، و قاعدة المعلومات القرآنية التابعة لمعهد الإمام الشاطبي بجدة: تبين أنه لم يسبق وأن تناولـــت الدراســـات العلميـــة موضوع " معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام " عموماً، فضلاً عن تناوله من خلال الدراسة القرآنية الموضوعية، والتطبيق لمفهومها وآثارها في حياة الأنبياء عليهم السلام.

أما في المؤلفات المعاصرة، فثمة من كتب في الربانية – مما وقفت عليه –، وهو ما يلي:

كتاب "ربانية لا رهبانية"، للشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمـــه الله، وهـــو رسالة صغيرة أصلها مقالات متفرقة تحدث فيها المؤلف عن تزكية الـــنفس،

ودور أهل التصوف في ذلك، والإشادة ببعض الأعلام الذين اعتنوا بالجوانب السلوكية في أنفسهم ودعوتهم للآخرين.

كتاب " الطريق إلى الربانية منهجاً وسلوكاً "، لمجدي الهلالي، وهو كتيب صغير يمكن تصنيفه بأنه مادة سلوكية تربوية، يهدف فيه المؤلف إلى بيان الوسائل المؤدية إلى الربانية وعقبات تحصيلها.

والملاحظ هنا أن كلا المادتين – مع ما فيهما من فوائد – لا تعتبران دراسة علمية، ولم تعتنيا بتحقيق معنى الربانية أو معالمها في حياة الأنبياء وما يرتبط بهذا المعنى من أسس أو مجالات أو آثار، فضلاً عن كونهما ليستا دراسة قرآنية منطلقة من الآيات المعنية بهذا الموضوع – بلفظها أو معناها –.

خطة البحث

سوف يحوي البحث بعون الله تعالى على تمهيد وثلاثة فصول فيها مباحث وخاتمة وفهارس، كالتالي:

التمهيد: لمحة سريعة حول مفهوم الربانية والنبوة

الفصل الأول: معالم الربانية في حياة الأنبياء من حيث المعتقد والتصور، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآيات الدالة على كمال علمهم بالله تعالى، ويقينهم بما عنده، ودلالاتها الموضوعية.

المبحث الثاني: الآيات الدالة على التسليم المطلق لحكمه والانقياد لأمره تعالى، ودلالاتها الموضوعية.

الفصل الثاني: معالم الربانية في حياة الأنبياء من حيث القصد والتوجه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآيات الدالة على خلوص نفوسهم لله تعالى، واستغناؤهم بالله

سبحانه عن كل شيء سواه ودلالاتها الموضوعية.

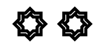
المبحث الثاني: الآيات الدالة على تعلق قلوبهم بالدار الآخرة، وزهدهم في الدنيا ودلالاتها الموضوعية.

الفصل الثالث: معالم الربانية في حياة الأنبياء من حيث السلوك والامتثال، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآيات الدالة على عنايتهم بعبادات القلب والجوارح، ودلالاتها الموضوعية.

المبحث الثاني: الآيات الدالة على كمال بذلهم في نصرة الدين، وصبرهم على البلاء والمشقة في سبيل ذلك، ودلالاتها الموضوعية.

الخاتمة: وتتضمن خلاصة البحث وأبرز نتائجه الكلية والتوصيات.



التمهيد

أولاً: مفهوم معنى الربانية.

حيث أسوق في هذا المبحث سائر أقوال أهل اللغة والمفسرين في معنى لفظ (الربانية) و (الرباني) و (الربي)، من حيث أصل اشتقاقها في اللغة، وكذلك معناها في السياق القرآني الكريم، علماً بأنه قد تنوعت وكثرت أقوالهم في معناها ، مدارها على قولين رئيسين، وقول ثالث ضعيف، هي – بإيجاز –كما يلي:

- القول الأول: أنها مشتقة من (الرِّب) الذي هو الله تعالى، أي منسوب إلى الرَّب، مما يفيد معنى الاختصاص، كقولهم إلهي، وزيدت الألف والنون للدلالة على كمال الصفة.

وقد قال بهذا الحسن البصري (في أحد القولين عنه) [١]، ويفهم من قول سعيد بن جبير [٢]،كما قال به سيبويه [٣]، والخليل بن أحمد [٤]، وغيرهم من أهل اللغة.

ورجحه من المفسرين: السمعاني [٥]، والزمخشري [٦]، والرازي [٧]، والشوكاني [٨]، وابن عاشور [٩]،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٦٦.

(٢) البحر المحيط ٢/٥٣٠.

(٣) لسان العرب ١/٤٠٣.

(٤) تفسير القرطبي ٤/٢٣٠.

(٥) تفسير السمعاني ١/٣٣٥.

(٦) تفسير الكشاف ١/٤٠٥.

(٧) تفسير الرازي ٤/٢٧٤.

(٨) فتح القدير ١/٤٨٦.

(٩) التحرير والتنوير ٣/١٤٠.

والألوسي [١]، والبقاعي [٢]، وأبو السعود [٣]، والقاسمي [٤]، وغيرهم.
وقد قال به القرطبي [٥] محاولاً الجمع بينه وبين القول الذي يليه.

- القول الثاني: أنها مشتقة من المصدر (الرَّبّ)، وقريب منه من قال بأنها: من (الرَّبَّان) الذي (يَرُبُّ) العلم أو (يَرُبُّ) الناس ويربيهم.

وقد قال بهذا: ابن عباس [٦]، وأبو رزين [٧]، والحسن البصري (في قوله الثاني) [٨]، ومجاهد [٩]، ويفهم من قول قتادة [١٠] وعطاء [١١].
كما قال به المبرّد [١٢]، وابن زيد [١٣]، والراغب [١٤]، والنحاس [١٥]، وغيرهم.

---

(١) روح المعاني ٣/١٢٧.
(٢) نظم الدرر ٢/٨٠.
(٣) تفسير أبي السعود ١/٤١١.
(٤) محاسن التأويل ٧٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٢٢.
(٦) الدر المنثور ٢/٣٦٩.
(٧) المحرر الوجيز ١/٤٧٩.
(٨) الدر المنثور ٢/٤٥٢.
(٩) الدر المنثور ٣/٣٨٧.
(١٠) المحرر الوجيز ١/٤٧٩.
(١١) البحر المحيط ٢/٥٣٠.
(١٢) تفسير الرازي ٤/٢٧٣.
(١٣) الدر المنثور ٢/٣٦٩.
(١٤) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة رب ، ص ٣٣٦.
(١٥) معاني القرآن للنحاس ١/٤٢٩.

وعليه بنى الإمام الطبري [١] قوله بأن (الربانيين) هم ولاة الناس وقـادتهم، كما رجح هذا القول: ابن عطية [٢]، والسعدي [٣]، وغيرهم.

يقول أبو جعفر بن جرير – رحمه الله – يقول: و"الربّاني" هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ، وكان العالم بالفقه، والحكمة من المصـلحين يربّ أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عـاجلهم، وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم، ودنياهم، كانوا جميعاً مستحقين أنهم ممن دخل في قوله: وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ إلى أن يقول: والرباني: الجامع إلى العلم، والفقه البصر بالسياسة، والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم، ودينهم[٤].

القول الثالث: أنها ليست بلفظة عربية.

قال به أبوعبيدة [٥]، وهو قول ضعيف. قال الراغب: " وقيل: رباني لفظ في الأصل سرياني، وأخلِقْ بذلك فقلما يوجد في كلامهم"[٦].

---

(١) جامع البيان ٦/٥٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ١/٤٧٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١/١٣٦.

(٤) وقد علق الشيخ محمود شاكر – رحمه الله – في تعليقه على تفسير ابن جرير على هذا المعنى الذي ذكره أبو جعفر –
رحمه الله – وقال: قلّ أن تجده في كتاب من كتب اللغة، وهو من أجود ما قرأت في معنى الرباني، وهو من أحسن التوجيه في فهم معاني العربية، والبصـر بمعـاني كتـاب الله. حاشية تفسير الطبري (٦/ ٥٤٤).

(٥) تفسير الرازي ٤ / ٢٧٣.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة رب، ص ٣٣٧.

ويخلص الباحث بعد النظر في تعاريف السلف للربانيين بأنهم: علماء، فقهاء، حكماء، حلماء، أتقياء، معلمين، يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، منسوبون إلى الرب؛ لأن العلم مما يطاع الله به، فهم قد جمعوا بين العلم، والعمل، وصاروا بمنزلة عليا من العلم، والامتثال، والتربية.

ثانياً: مفهوم النبوة .

المعنى اللغوي:

الأصل في كلمة النبوة أنها مأخوذة من مادة (نبأ)، والنون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابئ؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان، والفعل نبأته، وأنبأته، واستنبأته، والنبي: الذي يأتي بالأنباء عن الله عز وجل(١)، فأخباره هي ما أمره الله أن يخبرنا بها؛ فهي تأتينا من فوق العرش ، والجمع: الأنبياء، والنبيون.

وقيل: إنها مشتقة من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع، أي: إنه أشرف على سائر الخلق، وأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته (٢)، والنبيء: الطريق الواضح(٣).

وقيل: من النبأ: الخبر، والمنبئ: المخبر، ومنه قراءة نافع: (النبيئين) و(الأنبئاء) و(النبيئون)(٤)، ومفردها النبيء على وزن فعيل بمعنى فاعل للمبالغة؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى، أي: أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، والاسم منها النبوءة، التي هي الإخبار عن الله جل جلاله (٥).

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٣٨٢/٨.

(٢)انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٣٨٥، لسان العرب، ابن منظور ١٦٣/١.

(٣) انظر: لسان العرب ١٦٤/١.

(٤) انظر: مجمل اللغة، ابن فارس ص٨٥٣، معاني القراءات، الأزهري ١٥٣/١.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/ ٣، القاموس المحيط،

وهذه المعاني الثلاثة تجتمع في النبي، يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «وإنما سمي الأنبياء؛ لأنهم قد ارتفعت منزلتهم، واستعلت درجتهم على سائر الخلق، والنبي: الطريق، وسمي رسل الله أنبياء لأنهم الطرق إلى الله»(١).

المعنى الاصطلاحي:

النبي في الاصطلاح: «من أوحي إليه وحيًا خاصًّا من الله بتكليم الله جل جلاله له، أو بتوسط ملك، أو بإلهام في قلبه، أو بالرؤيا الصالحة، وقد ختمت النبوة، وانقطع الوحي بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم»(٢).

«عدد الأنبياء لا يحصى؛ إذ يزيد عددهم على ما جاء في بعض الآثار مائة وعشرين ألفًا، أما الرسل فهم قلة، والذين ذكروا في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وهم خمسة وعشرون، وهم من الرسل، وهم كالآتي:

آدم، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيي، إدريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، إلياس، اليسع، ذو الكفل، عيسى، محمد -صلوات الله عليهم أجمعين-»(٣).

فهؤلاء هم المذكورون في القرآن الكريم بأسمائهم.

وهناك أنبياء ومرسلون لا نعرف أسماءهم، ولم يقص الله علينا من أخبارهم، كما في قوله تعالى:

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء:١٦٤]

الفيروزآبادي ص٥٣، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب ص٣٤٥.

(١) غريب الحديث، الخطابي ١٩٣/٣.

(٢) معجم لغة الفقهاء ص ٤٧٤.

(٣) النبوة والأنبياء، للصابوني ١٣/١-١٤.

فليس في القرآن حصر لعدد الأنبياء والمرسلين، لكن الواضح من القرآن أنهم كانوا أعدادًا كبيرةً، يدلنا على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[فاطر:٢٤]، وقوله جل جلاله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨)﴾[الشعراء:٢٠٨].

والأنبياء والرسل عليهم السلام، هم القدوة التي اعتنى القرآن الكريم بتجلية صورتها للمسلمين عموماً، ولأهل الإحسان في مقامات العلم والعمل خصوصاً، قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٩٠] ولذا فلا غرابة من إطالة القرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والرسل – عليهم السلام –، وإن هذه العناية القرآنية ينبغي أن تحفز أهل التخصص إلى الإفادة المثلى من ذلك التصوير المعجز لتلك الصفوة السامية.

وإن المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن أخبار الأنبياء وصفاتهم وقصصهم مع أقوامهم وصبرهم وجهادهم، كل ذلك قد أخذ حيزا كبيرا من القرآن الكريم كما يجد أن هذه الأخبار والقصص قد انحصر جلها في القرآن المكي – أي قبل الهجرة النبوية والشريفة– حيث الاستضعاف والابتلاء والتربية والتمحيص للعصبة المؤمنة في العهد المكي وذلك حتى يتأسى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من المؤمنين بحياة الأنبياء وأتباعهم من الربانيين ويتعزوا بصبرهم ودعوتهم.[١]

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم – فبهداهم اقتده– ٤/٧.

وفي ميدان الحديث عن معالم الربانية : يتأكد مثل هذا العمل، حيث مجال البحث هنا في صفة مثلى يحبها الله تعالى من عبادة المؤمنين، قدوتهم فيها: الأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

كما إن ذلك يتبارك بالانطلاق فيه من التعبير القرآني العظيم، الذي يتجاوز مجرد التفصيل، ويركز على ما يبرز الهداية ويحقق التزكية، ويصل إلى الثمرة العملية في القلب والجوارح بأمثل طريقة وأبلغ أسلوب.

وبعد الاستقراء لحديث القرآن الكريم عن عموم الأنبياء – عليهم السلام –، والتأمل فيه، والعمل على تصنيف هذا الحديث القرآني وفق محاور معالم الربانية : توصلت إلى ستة معالم، أرجو أن تكون جامعة للمقصود.

ولقد جعلت تفريع هذه المعالم الستة منسجماً مع مفهوم الربانية، بحيث يكون كل معلم منها فصلاً من فصول البحث، يتفرع عنه مبحثين، يمثل كل مبحث منها معلماً من معالم الربانية في حياة الأنبياء، ويتفرع عن كل مبحث عنصران، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في المعتقد والتصور وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كمال علمهم بالله تعالى، ويقينهم بما عنده.

- أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير
- ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم.

المبحث الثاني: التسليم المطلق لحكمه والانقياد لأمره تعالى.

- أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير.
- ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم.

الفصل الأول: معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في المعتقد والتصور

المبحث الأول : كمال علمهم بالله تعالى، ويقينهم بما عنده.

إن أعلم الناس بالله عز وجل هم أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وهذا العلم به سبحانه وبأسمائه وصفاته العلا هو الذي أورثهم هذه الخشية والإيمان الصادق والتوحيد الكامل لله عز وجل؛ لأنه كلما كان العبد أعلم وأعرف بربه سبحانه كان أشد خوفاً وتعظيماً وعبادةً ومحبةً وإخلاصاً له، ولهذا قال سفيان بن عيينة - رحمه الله-: ما علّموه حتى علِموه[1].

أولاً: الآيات الدالة على كمال علمهم بالله تعالى، ويقينهم بما عنده، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير مَن نظر في أَخْبَارَ الرُّسُلِ والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ؛ وَجَدَ أَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وأكثرهم يقينا بما عنده سبحانه؛ ولذا فإن أبرز معاني الربانية تتجلى في هذا المعلم وذلك في آيات كثيرة منها:

الآية الأولى :

قال تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء:١١١-١١٥]

علم الله بالسرائر

"يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقرّ بتصديقك فيما

---

[1] جامع البيان (٦/٥٤٦).

تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات. (قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكَلَّفْ علم باطنهم، وإنما كلّفت الظاهر، فمن أظهر حسناً ظننت به حسناً، ومن أظهر سيئاً ظننت به سيئاً ، يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلانيته"[1].

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]

"وقوله: (قال معاذ الله) يقول جل ثناؤه: قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها، وقالت له:"هلم إلي": أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه، واستجير به منه"[2].

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)﴾[يس:١٥- ١٦]

"يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أُناس مثلنا، ولو كنتم رسلاً كما تقولون، لكنتم ملائكة (وَمَا أَنزلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء (إِنْ أَنْتُمْ إلا تَكْذِبُونَ) في قيلكم إنكم إلينا مرسلون، (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنَّا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم

---

(١) جامع البيان (١٩/٣٧٠).

(٢) تفسير الطبري١٦/٣٢.

إليه، وإنَّا لصادقون، (وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) يقول: ومـــا علينـــا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغاً يبين لكم أنَّا أبلغناكموها، فـــإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه"[١].

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُـــؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠]

"(قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفـــرق بـــين المعلوم برهاناً والمعلوم عياناً ، والطمأنينة: اعتـــدال وســـكون، فطمأنينـــة الأعضاء معروفة، كما قال عليه السلام: (ثم اركع حتى تطمئن راكعا) الحديث ، وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد ، والفكر في صورة الإحياء غير محظور، كما لنا نحن اليوم أن نفكر فيها إذ هي فكر فيها عبـــر فأراد الخليل أن يعاين فيذهب فكره في صورة الإحياء ، وقال الطبري: معنى" ليطمئن قلبي" ليوقن، وحكي نحو ذلك عن سعيد بن جبير، وحكي عنه ليزداد يقيناً، وقاله إبراهيم وقتادة ، وقال بعضهم: لأزداد إيماناً مع إيماني ، قال ابن عطية: ولا زيادة في هذا المعنى تمكن إلا السكون عن الفكر وإلا فـــاليقين لا يتبعض ، وقال السدي وابن جبير أيضاً: أولم تؤمن بأنك خليلي؟ قال: بلـــى ولكن ليطمئن قلبي بالخلة ، وقيل: دعا أن يريه كيف يحيي الموتى ليعلم هل

([١]) تفسير الطبري٢٠/٥٠٢.

تستجاب دعوته، فقال الله له: أو لم تؤمن أني أجيب دعاءك، قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي أنك تجيب دعائي. [١]

وقال الطبري: في قوله تعالى:(واعلم أن الله عزيز حكيم) واعلم يا إبراهيم، أن الذي أحيا هذه الأطيار بعد تمزيقك إياهن، وتفريقك أجزاءهن على الجبال ، فجمعهن وردّ إليهن الروح ، حتى أعادهن كهيئتهنّ قبل تفريقكَهُنّ عزيز في بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة ، الذين خالفوا أمرَه ، وعصوا رُسله ، وعبدوا غيره ، وفي نقمته حتى ينتقم منهم حكيم في أمره.[٢]

الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩]

"قَوْلُهُ: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا} أَيْ: عَلَى الْوَحْيِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، {إِنْ أَجْرِيَ} مَا ثَوَابِي، إلا على الله {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا} هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ طَرْدَ الْمُؤْمِنِينَ، {إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} أَيْ: صَائِرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي الْمَعَادِ فَيَجْزِي مَنْ طَرَدَهُمْ"[٣].

الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود:٦٣].

"يقول: أعلمتم مَنْ ينصرني من الله أَيْ: مَنْ يمنعني من عذاب الله إِنْ عَصَيْتُهُ بعد بيِّنةٍ من ربِّي ونعمةٍ {فما تزيدونني غير تخسير} أَيْ: ما تزيدونني

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٣٠٠

(٢) تفسير الطبري ٥/٥١١.

(٣) تفسير البغوي ٤/١٧١.

باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام وقلكم: {أتنهانا أن نعبدَ ما يعبدُ آباؤُنا} إلاَّ بنسبتي إيَّاكم إلى الخسارة أَيْ: كلَّما اعتذرتم بشيءٍ زادكم تخسيراً"[١].

الآية السابعة:

قال تعالى: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩]

يقول شعيب عليه السلام مخاطباً الكفار: فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه، فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً ، وهذا تعبير منه عن أتباعه {وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا} وهذا رد إلى المشيئة، فإنه يعلم كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً، {على الله توكلنا} أي: في أمورنا ما نأتي منها وما نذر {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق} أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، {وأنت خير الفاتحين} أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً.[٢]

ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

توحيدهم لله سبحانه:

فإن أكمل الناس توحيداً الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وأكملهم توحيداً الخليلان: محمد وإبراهيم، صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً، ومعرفةً، وحالاً، ودعوةً للخلق وجهاداً،

---

(١) الوجيز للواحدي ٥٢٥/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٨/٣.

فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليـه، وجاهـدوا الأمـم عليه.[١]

وإذا تأملنا قصص الأنبياء والمرسلين التي وردت في القرآن الكـريم، ومـا حدث لهم مع أممهم، نجد أنهم اتفقوا جميعاً على دعوة واحدة، هي الـدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الشرك، وإن اختلفت شـرائعهم، وهذا يدل على كمال علمهم بالله سبحانه وتعالى[٢].

بل إن مسألة الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله هي القضـية الأولى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بين الأنبياء وأممهـم، قـال الله – تعالى– مخبراً عما أرسل به جميع الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقـال –تعـالى–: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحـل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

فجميع الرسل كان أول وأهم ما دعوا إليه هو التوحيد، توحيد الله بالعبـادة وتقواه وطاعته وطاعة رسله ، وكما ذكر الله عنهم ذلك على سبيل التعميم، فقد ذكر ذلك عن بعضهم على التفصيل: فنوح، عليه السلام، قال لقومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩]، وكذلك هـود، عليـه السلام، قال لقومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْـرُهُ} [الأعـراف: ٦٥]، وصالح، عليه السلام، قال لقومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٧٣]، وإبراهيم، عليه السلام، قال لقومه: {اعْبُـدُوا اللَّـهَ وَاتَّقُوهُ} [العنكبوت: ١٦].

([١]) شرح العقدة الطحاوية ٥٤/١.

([٢]) انظر: تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص: ٥).

فالتوحيد من أخص صفات الرباني، قال الرازي(١) في تعريفه للرباني: أن يكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضاة الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله، فالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، وصحة العقيدة وسلامتها هما الأصل الأول في دعوة المرسلين، من لدن نوح إلى محمد، عليهم السلام، وهذا هو الغاية الأولى التي بها تصلح كل شئون الدنيا والدين، فإذا صحت العقيدة أذعن الناس لله وحده وأطاعوا رسله واستقاموا على شرعه على هدى وبصيرة، ومن ثم يصلح كل شيء من أمورهم الدينية والدنيوية.

قوة علمهم بالله عز وجل وأثر ذلك في صدق الإيمان:

قال الله تعالى: عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعوته لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً﴾ [مريم: ٤٣]، وقوله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨].

وقوله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

وهذا نوح عليْه السّلام منْ أولي الْعزْم من الرّسل، وأوْحى اللّه تعالى إليْه بكلامه، وعلّمه منْ علْمه، فكان نوح عالماً باللّه تعالى، ممّا علّمه ربّه سبْحانه بالْوحْي؛ قال تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام في قيله لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]. ولذا خاطب اللّه تعالى نبيّه محمّداً صلّى اللّه عليْه وسلّم بقوْله سبْحانه: قال تعالى: ﴿إنّا أوْحيْنا إليْك كما أوْحيْنا إلى نوح والنّبيّين منْ بعْده﴾

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧٢/٨.

[النّساء: ١٦٣]، ومنْ غزارة علْم نوح باللّه تعالى وبقدْرته سبْحانه، وبنفاذ قدره على عباده: أنّه وقف وحْده تجاه قوْمه، مقيماً الْحجّة عليْهمْ، متحـديًا لهمْ ولآلهتهمْ، مخاطراً بنفْسه، متوكّلاً على ربّه سبْحانه: قال تعالى: ﴿ واتْل عليْهمْ نبأ نوح إذْ قال لقوْمه يا قوْم إنْ كان كبر عليْكمْ مقامي وتذْكيري بآيات اللّه فعلى اللّه توكّلْت فأجْمعوا أمْركمْ وشركاءكمْ ثمّ لا يكنْ أمْركمْ عليْكمْ غمّة ثمّ اقْضوا إليّ ولا تنْظرون ﴾ [يونس: ٧١].

ومن قرأ حِوار نوحٍ مع قومِهِ فِي اللّهِ تعالى علِم ما كان عِنده مِن العِلمِ باللّهِ تعالى، وبِأسمائِهِ الحسنى، وصِفاتِهِ العلى، وذلك هو العِلم الحقِيقِيّ الّذِي ينفع العبد فِي الحالِ وفِي المآلِ: قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾[نوح:١٠] إلى قوله: قال تعالى: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نوح:٢٠].

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام، مع ما آتاه الله عز وجل من العلم العظيم، فإنه لم يكتف به، وإنما طلب المزيد.. وقصة سفره عليه الصلاة والسلام إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه معروفة، وقد قصها الله عز وجل علينا في كتابه الكريم، والشاهد منها قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ [الكهف: ٦٦].

وقول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام عن نفسه عندما تنزّه بعض الصحابة عن شيء رخص فيه، فُبلِّغ ذلك إليه، فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[1].

([1]) أخرجه البخاري – كتاب الأدب – باب من لم يواجه الناس بالعتاب رقم (٥٧٥٠) ومسلم – كتاب الفضائل – باب علمه صلى الله عليه وسلم وشدة خشيته رقم (٢٣٥٦)

وقوله تعالى لنبيه محمد: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقد جاء ذلك في قصة نوح مع قومه في سورة هود، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٥-٤٧]، ويظهر من هذه الآيات علم نوح عليه الصلاة والسلام بربه عز وجل، والذي أثمر عنده هذا الأدب العظيم مع ربه والخوف منه سبحانه؛ فتراه وهو يدعو ربه بشأن ابنه الهالك مع الكافرين يختم دعاءه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ﴾، ولم يقل: وأنت أرحم الراحمين، وهذا من كمال علمه عليه الصلاة والسلام بأسماء الله البالغة التي اقتضت أن يكون ابن نوح مع الهالكين ولم يكن مع الناجين، ولذلك: ختم نوح عليه السلام دعاءه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ﴾.

يقين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ويتضح ذلك جلياً في يقينهم بما عند الله سبحانه من عظيم الأجر والمنزلة الرفيعة لمن أطاعه وأتقاه، يقول الله سبحانه حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] قال مناجياً لربه سبحانه يا رب السجن أي دخوله الذي أوعدتني به هذه أحب إليّ أي آثر عندي لأنه

وذلك من حديث عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم .

مشقة قليلة نافدة أثرها راحات جليلة أبدية مما يدعونني إليه من مؤاتاتها التي تؤدي إلى الشقاء والوقوع في المعصية العظيمة التي تذهب بخيري الدنيا والآخرة، وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له شائبة محبة لما دعته إليه وإنما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن وإن كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة.[1]

يقين موسى عليه السلام في خروجه من مصر:

خرج موسى عليه السلام من مصر ببني إسرائيل خوفاً من فرعون وملائه أن يفتنهم، فتبعهم فرعون بجنوده، فأصبح قوم موسى بين هلاكين: البحر أمامهم، والعدو خلفهم، فما كان موقف بني إسرائيل، وما موقف موسى الذي كمل يقينه بحسن فعل الله تعالى، وماذا كانت النتيجة؟ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٧].

يقين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى مكة:

خرج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صحبةَ أبي بكر مهاجراً إلى المدينة، ومشركو قريش يتتبعون آثار أقدامه حتى وصلوا إلى باب الغار، مريدين

---

(١) انظر: فتح البيان ٦/٣٢٩.

الفتك به، وإرجاعه إلى مكة حياً، أو ميتاً، فما كان موقفه والعدو لو نظر تحت قدميه لرآهم؟ قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

فتمَّ لنبي الله موسى عليه السلام النجاة، والانتصار على فرعون وجنده، وتم لرسولنا محمد عليه الصلاة والسلام النجاة، والانتصار على قريش ومكرهم.

- محاجة شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه ورده عليهم عندما خيروه بين الخروج ومن قريتهم والعودة في ملتهم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا قالَ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ (٨٩)﴾[الأعراف:٨٨-٨٩]

والشاهد من هذه الآيات الكريمات ذلك الثبات العظيم واليقين التام من شعيب عليه الصلاة والسلام بما عند الله تعالى وأنه على الحق، وأنه على بينة من ربه ، قال الشيخ السعدي: قال تعالى: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك ، ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذباً ، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون، ومنها: اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها، ومنها: أن عودهم فيها - بعد ما هداهم الله - من

المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعـالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأمحل المحال[١].

(١) تفسير السعدي ص ٢٩٦.

المبحث الثاني : التسليم المطلق لحكمه والانقياد لأمره تعالى.

التسليم لله تعالى هو روح الإيمان والإسلام فمتى افتقد الإنسان التسليم لله تعالى فقد فَقَدَ إيمانه وفَقَد إسلامه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – معرفاً الإسلام: "هو الاستسلام لله لا لغيره، بأن تكون العبادة والطاعة له والذل، وهو حقيقة لا إله إلا الله"(1)،

وقال أيضًا: «والإسلام: هو الاستسلام لله وحده، وهو أصل عبادته وحده وذلك يجمع معرفته، ومحبته، والخضوع له»(2)، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو: الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه.

أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير.

الأنبياء يضربون أروع الأمثلة في التسليم المطلق لحكم الله تعالى والانقياد لأمره سبحانه وتعالى وذلك في آيات كثيرة منها:

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]

قال الطبري: "(وإن كان طائفة منكم)، وإن كانت جماعة منكم وفرقة، (آمنوا) يقول: صدّقوا بالذي أرسلتُ به من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتّبعوني على ذلك، (وطائفة لم يؤمنوا)، يقول: وجماعة أخرى لم يصدِّقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه، (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا)، يقول: فاحتبسوا على قضاء الله

---

(1) مجموع الفتاوى ١٤/١٠.

(2) مجموع الفتاوى ١١٥/٢٠.

الفاصل بيننا وبينكم، (وهو خير الحاكمين)، يقول: والله خيرُ مـن يفصـل وأعدل من يقضي، لأنه لا يقع في حكمه مَيْلٌ إلى أحدٍ، ولا محاباة لأحدٍ"[١].

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣]

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} أَيْ: في الوقت الذي وقَّتنا له {وكلمه ربُّه قال ربِّ أرني أنظر إليك} والمعنى: إنِّي قد سمعتُ كلامك فأنا أحبُّ أن أراك {قال لن تراني} في الدُّنيا ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك وهو الجبل {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ} أَيْ: سكن وثبت {فسوف تراني} وإن لم يستقرَّ مكانه فإنَّك لا تطيق رؤيتي كما أنَّ الجبل لا يطيق رؤيتي {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ جعله دكاً} أَيْ: مدقوقاً مع الأرض كِسَراً تراباً {وخرَّ موسى صعقاً} مغشياً عليه {فلما أفاق قال سبحانك} تنزيهاً لك من السُّوء {تبتُ إليك} من مسألتي الرُّؤية في الدُّنيا {وأنا أول المؤمنين} أوَّل قومي إيماناً[٢].

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨]

---

(١) تفسير الطبري ٥٦١/١٢.

(٢) الوجيز ص٤١٢.

وقوله: {وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله} أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله، عز وجل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.(١)

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨ ﴾[مريم:٥٨]

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً، أي: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعاً واستكانةً، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، "والبكي": جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا، اقتداء بهم، واتباعا لمنوالهم.(٢)

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:١٢٤]

{و} اذكر {إذ ابتلى} اختبر {إبراهيمَ} وفي قراءة إبراهام {ربُه بكلمات} بأوامر ونواه كلفه بها قيل هي مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الشعر وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء، {فأتمهن} أداهن تامات {قال} تعالى له {إني جاعلك للناس إماما} قدوة في الدين {قال ومن ذريتي} أولادي اجعل أئمة {قال لا

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير٥/٢٤٢.

ينال عهدي} بالإمامة {الظالمين} الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم.[١]

الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)﴾[الصافات:١٠٢-١٠٣]

{فلما بلغ} ذلك الغلام {معه السعي} أيْ: أدرك معه العمل {قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أني أذبحك} وذلك أنَّه أُمر في المنام بذبح ولده[٢] وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه، {قال يا أبت افعل ما تؤمر} أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، {ستجدني إن شاء الله من الصابرين} أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. وصدق، صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛{فلما أسلما وتله للجبين} أي: فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: {أسلما}، يعني: استسلما وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم[٣].

الآية السابعة:

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا

---

(١) تفسير الجلالين ص٢٦.

(٢) الوجيز ص٩١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٨/٧.

وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾[إبراهيم:١١-١٢]

{وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: بكتاب. الثاني: بحجة. الثالث: بمعجزة[١]،{إلا بإذن الله} أي بمشيئته، وليس ذلك في قدرتنا، أي لا نستطيع أن نأتي بحجة كما تطلبون إلا بأمره وقدرته سبحانه[٢].

الآية الثامنة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود:٤٧]

انقاد نوح عليه السلام لأمر ربه فقال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم أي: أعوذ بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته وجوازه، وإلا تغفر لي ذنب ما دعوت به على غير علم مني وترحمني برحمتك التي وسعت كل شيء فتقبل توبتي أكن من الخاسرين في أعمالي فلا أربح فيها.[٣]

الآية التاسعة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[يوسف:٦٧]

إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه، ثم قال: ذلك الدين القيم أي: هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله، وإخلاص

---

(١) تفسير الماوردي ١٢٦/٣.

(٢) تفسير القرطبي ٣٤٧/٩.

(٣) فتح القدير ٥٧١/٢.

العمل له، هو الدين المستقيم، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه[١].

ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم:

انقيادهم لأمر الله تعالى في تبليغ رسالته للناس ودعوة أقوامهم وإن لم يستجيبوا لهم.

ويتجلى ذلك في غالب قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم فهذا موسى عليه السلام يمتثل أمر الله سبحانه بالذهاب إلى أكثر أهل الأرض إجراماً و طغياناً عبر التاريخ ودعوته إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى بتكليف من الملك سبحانه فاستجاب استجابة فورية مع الخطر الشديد الذي يكتنفه الذهاب إلى فرعون، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، قال القرطبي: أمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية بالنفوذ إلى دعوة فرعون[٢]﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[طه:٤٨]

يقول البقاعي: «فقولا له قولاً ليناً لئلا يبقى له حجة، ولا يقبل له معذرة لعله يتذكر ويعلم أن الله ربه، وأنه قادر على ما يريد منه، فيرجع عن غيه فيؤمن، أو يخشى: أي أو يصل إلى حال من يخاف عاقبة قولكما لتوهم الصدق فيكون قولكما تذكرة له فيرسل معكما بني إسرائيل».(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٨٩/٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٩٩/١١.

(٣) نظم الدرر ٢٩٠/١٢.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾ [الأعراف: ٥٩]

وقال جل وعلا عن هود عليه السلام ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال سبحانه عن صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وكذلك امتثل شعيب أمر الله سبحانه في تبليغ رسالته، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

وإبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]

وقوله سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]

وقوله سبحنا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

* استجابتهم لأوامر الله تعالى ووحيه في الابتلاءات والاختبارات:

فهذا نوح – عليه السلام – قال الله عنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود:٤٥ - ٤٧].

نعم؛ لقد قطع الكفر كل أواصر النسب والعلاقة مع الأب المؤمن والابن المشرك، فسأل نوح - عليه السلام - ربَّه - عز وجل - أن ينجي ولده بعاطفة الأبوة الحانية، كما وعده ربه بنجاة أهله، فذكّره ربُّه بكفر ولده، ونفيه عن أهله، فما كان من نوح إلا أن أعلن تفويضه واستسلامه لأمر الله، وقطع الطريق على الشيطان ونوازع النفس الذين يحملان العبد على فتح باب الجدال والمراء في الباطل، حاشا رسل الله.

ولم يكتفِ بإبداء التسليم لأمر الله، بل استعاذ بربه أن يسأله ما ليس له به علم في قابل عمره؛ ثم طلب منه الرحمة والمغفرة على ما بدر منه.

وهذا إبراهيم - عليه السلام - ضرب مثلاً رائعا هو وأهله في التسليم لأمر الله من أول يوم أراد الله به الخير والهداية له: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [البقرة:١٣١ - ١٣٢].

أمَرَه الله - تعالى - بالإخلاص له والاستسلام والانقياد؛ فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدراً، ووصى بنيه وأهله بهذه الملة وهي الإسلام لله والاستسلام له؛ حرصاً عليهم، ومحبة لهم، فحافظوا عليها إلى حين الوفاة، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم.

وقد طبّق إبراهيم - عليه السلام - إسلامه واستسلامه لله في واقع عملي، وذلك حينما أتى بزوجه هاجر ومعها وليدها إسماعيل - عليه السلام - ليتركهما في بطحاء مكة، بأمر من الله - عز وجل - في وادٍ لا شجر فيه ولا ماء ولا زاد، ولا من يستأنسون به، وخلّفهم هناك فلحقت به هاجر -

عليها السلام – تسأله وتناديه: لمن تتركنا هنا يا إبراهيم؟ مـــاذا ســنفعل؟! وماذا سنأكل ونشرب؟!.

ولكن إبراهيم – عليه السلام – لم يجبها ولم يلتفت إليها، فقالت: "آلله أمرك بهذا؟"، قال: نعم، فأجابت بكلمة حكيمـــة، وباستســلام مطلــق: "إذن؛ لــن يضيعنا".

تسليم من إبراهيم – عليه السلام –، إذ ترك زوجَه وابنه الرضيع في أرض غربة وخوف وقحط، وتسليم من هاجر، إذ علمت أن ذلــك أمـــر مـــن الله، فقالت: لن يضيعنا، وكان وراء هذا القرار الإلهي حكمة، ولكنها لم تعلمها في ذلك الوقت، ورغم ذلك سلمت لله – تعالى –.

ولم يكد يشب إسماعيل – عليه السلام – حتى يبتليَ الله إبـــراهيم – عليـــه السلام – في أمر عظيم على البشر تنفيذه، وصعب على النفوس امتثاله لـــو أن الممتحَن غير إبراهيم الخليل – عليه السلام –، فقد امتحنـــه الله بـــذبح إسماعيل الذي تعلق قلبه به؛ لأنه جاء بعد طول زمن من حرمان الأولاد.

قال الله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّـــي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَـــتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِـــينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠١ – ١٠٧].

وفي مقابل هذا الامتحان لإبراهيم، يقف إسماعيل طرفاً في الامتحان شامخاً، صبوراً، ضارباً مثلاً فريداً في التسليم لأمر الله – تعالى – من غيـــر تـــردد، وهو – إذ ذاك – فتى يافع؛ لكن انظر إلى أدبه مع الله، واعترافـــه بحـــدود القدرة والطاقة في الاحتمال، واستعانته بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه

في إعانته على التضحية ومساعدته على البر: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

الفصل الثاني

معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في القصد والتوجه وفيه مبحثان:

المبحث الأول: خلوص نفوسهم لله تعالى، واستغناؤهم بالله سبحانه عن كل شيء سواه.

- **أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير**
- **ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم**

المبحث الثاني: تعلق قلوبهم بالدار الآخرة، وزهدهم في الدنيا.

- **أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير**
- **ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم**

الفصل الثاني :

معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في القصد والتوجه

المبحث الأول : خلوص نفوسهم لله تعالى، واستغناؤهم بالله سبحانه عن كل شيء سواه.

أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير

قال المناويّ الإخلاص: تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصاً، وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص ، وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التّهمة والخلل.[1]

إن الدعوة إلى الله عز وجل وإلى توحيده وعبادته إن لم يصاحبها الإخلاص لله سبحانه، وابتغاء وجهه عز وجل، وعدم الطمع في الأجر من الناس أو نيل أي عرض من الدنيا فإنها دعوة منزوعة البركة عديمة الأثر على الناس.

والآيات الدالة على إخلاص الأنبياء كثيرة، منها:

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ 24 قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي 25 وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي 26﴾ [طه:٢٥]

قال صاحب الكشاف: لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٢)

الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب.[١]

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]

قوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول: إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع.[٢]

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر:٥٥-٥٦]

قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحقّ يقين، وعلم منّا بأن الله قد وهب لك غلاماً عليماً، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البُشرى، (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلا الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله.[٣]

---

(١) الكشاف ٣/٦٠.

(٢) تفسير الطبري ٢١/٢١٤.

(٣) تفسير الطبري ١٧/١١٣.

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس:٧١]

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: {واتل عليهم} أي: أخبرهم واقصص عليهم، أي: على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك {نبأ نوح} أي: خبره مع قومه الذين كذبوه، كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك. {إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم} أي: عظم عليكم، {مقامي} أي فيكم بين أظهركم، {وتذكيري} إياكم {بآيات الله} أي: بحججه وبراهينه، {فعلى الله توكلت} أي: فإني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أو لا! {فأجمعوا أمركم وشركاءكم} أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صنم ووثن، {ثم لا يكن أمركم عليكم غمة} أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبساً، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إلي ولا تنظرون، أي: ولا تؤخروني ساعة واحدة، أي: مهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم، لأنكم لستم على شيء.(١)

الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد:٣٠]

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٨٣/٤.

أي أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء من قبلك، قاله الحسن. وقيل: شبه الإنعام على من أرسل إليه محمد عليه السلام بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله. (لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك) يعني القرآن ، (وهم يكفرون بالرحمن) (قل) لهم يا محمد: الذي أنكرتم. (هو ربي لا إله إلا هو) ولا معبود سواه، هو واحد بذاته، وإن اختلفت أسماء صفاته ، (عليه توكلت) واعتمدت ووثقت ، (وإليه متاب) أي مرجعي غداً، واليوم أيضاً عليه توكلت ووثقت، رضا بقضائه، وتسليما لأمره.[١]

الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠]

قوله: إلا تنصروه فقد نصره الله أي: إن تركتم نصره فالله سيتكفل به، فقد نصره في مواطن القلة، وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر أو فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له حال كونه ثاني اثنين أي: أحد اثنين، وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قوله: إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل بعض، والغار: ثقب في الجبل المسمى ثوراً، وهو المشهور بغار ثور، وهو جبل قريب من مكة، وقصة خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر ودخولهما الغار مشهورة مذكورة في كتب السير والحديث. قوله إذ يقول لصاحبه بدل ثان، أي: وقت قوله لأبي بكر: لا تحزن إن الله معنا أي:

([١]) تفسير القرطبي ٣١٧/٩.

دع الحزن فإن الله بنصره وعونه وتأييده معنا، ومن كان الله معه فلن يغلب، ومن لا يغلب فيحق له أن لا يحزن، قوله: فأنزل الله سكينته عليه السكينة: تسكين جأشه وتأمينه حتى ذهب روعه وحصل له الأمن.(١)

الآية السابعة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]

{قَالَ} موسى، مثبتا لهم، ومخبراً لهم بوعد ربه الصادق: {كَلا} أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} لما فيه نجاتي ونجاتكم.(٢)

ثانياً : الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

إخلاص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم وترفعهم على الدنيا وزخرفها، وإرادتهم وجه الله عز وجل في كل حركة وسكنة من حياتهم:

فالأنبياء أكثر الناس إخلاصاً لله سبحانه وتعالى، بل هم الأسوة في ذلك، وقد أخبر الله سبحانه في سورة الشعراء عن بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وما قالوه لأقوامهم، ومن هؤلاء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام، وأنهم قد اتفقت كلمتهم لأقوامهم في حروفها ومعانيها، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ١٠٩]،

قال تعالى يحكي عن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ 105 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ 106 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 107 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ 108 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ

---

(١) فتح القدير ٢/٤١٤.

(٢) تفسير السعدي ص٥٩٢.

الْعَالَمِينَ109 ﴾[الشعراء:١٠٥-١٠٩].

وقال تعالى على لسان الرجل الصالح في وصفه للمرسلين: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ 20 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ21 ﴾[يس:٢٠-٢١] وقال سبحانه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] والآيات في هذا كثيرة جدا.

استغناؤهم بالله عن كل ما سواه:

وانظر إلى موقف نبي الله سليمان عليه السلام من ملكة سبأ عندما أرسلت إليه المال كهدية تختبره بها، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ (٣٧)﴾ [النمل:٣٦-٣٧] فتأمل قوله: ﴿فَمَا ءَاتَانِاَ ٱللَّهُ خَير مما ءَاتَاكم﴾ أي: أي فما أعطاني من الإسلام والملك والنبوة خير مما أعطاكم.(١)

وذلك موسى عليه السلام يخاطب بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢].

قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا} يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران، واقصص على قومك أنه كان مخلصا.

(١) تفسير القرطبي١٣/٢٠١.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: (إِنَّهُ كانَ مُخْلِصاً) بكسر اللام من المُخْلِص، بمعنى: إنه كان يخلص لله العبادة، ويفرده بالألوهية، من غير أن يجعل له فيها شريكا، وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة خلا عاصم (إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بفتح اللام من مُخْلَص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وحمله نبياً مرسلاً.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصاً عبادة الله، مُخْلَصا للرسالة والنبوّة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب[1].

{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفرداً له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكاً، ولكني أفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم[2].

---

(1) تفسير الطبري ٢٠٩/١٨.

(2) تفسير الطبري ٢٧١/٢١.

المبحث الثاني تعلق قلوبهم بالدار الآخرة، وزهدهم في الدنيا.

أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤)﴾[طه:٨٣-٨٤]

وأي شيء أعجلك (عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى) فتقدمتهم وخلفتهم وراءك، ولم تكن معهم (قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي) يقول: قومي على أثري يلحقون بي (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) يقول وعجلت أنا فسبقتهم ربّ كيما ترضى عني.[١]

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ 26 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ27 ﴾ [العنكبوت:٢٦-٢٧]

أعلن أنه مهاجر ديار قومه وذلك لأن الله أمره بمفارقة ديار أهل الكفر، وهذه أول هجرة لأجل الدين ولذلك جعلها هجرة إلى ربه ، والمهاجرة مفاعلة من الهجر: وهو ترك شيء كان ملازماً له، والمفاعلة للمبالغة أو لأن الذي يهجر قومه يكونون هم قد هجروه أيضاً.[٢]

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩].

---

(١) تفسير الطبري ٣٤٩/١٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٨/٢٠.

وقال إبراهيم لما أَفْلَجَه الله على قومه ونجاه من كيدهم: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) يقول: إني مُهَاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدَّسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله، قال قتادة: ذاهب بعمله وقلبه ونيته.(١)

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣]

وقال: {رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه} أي: من الفاحشة، {وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن} أي: إن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي، وذلك أن يوسف، عليه السلام، عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال، والرياسة ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفاً من الله ورجاء ثوابه.(٢)

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[غافر:٢٧]

وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كلّ متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء ، وإنما

(١) تفسير الطبري ٧١/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٨٧/٤.

خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا، لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة.[١] ، ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[الدخان:٢٠] أي: وإني اعتصمت بربي وربكم، واستجرت به منكم أن ترجمون.[٢]

الآية السادسة:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:٧٢]

بين نوح لقومه أن كل ما أتى به إليهم من الإعذار والإنذار وتبليغ الشريعة عن الله ليس هو لطمع دنيوي، ولا لغرض خسيس، فقال: فإن توليتم فما سألتكم من أجر أي: إن أعرضتم عن العمل بنصحي لكم وتذكيري إياكم، فما سألتكم في مقابلة ذلك من أجر تؤدونه إلي حتى تتهموني فيما جئت به، والفاء في فإن توليتم لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والفاء في فما سألتكم جزائية إن أجري إلا على الله أي: ما ثوابي في النصح والتذكير إلا عليه سبحانه، فهو يثيبني آمنتم أو توليتم، وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكم الله الذين يجعلون أعمالهم خالصة لله سبحانه لا يأخذون عليها أجرا في عاجل.[٣]

ومثله قوله تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا

---

(١) تفسير الطبري ٣٧٥/٢١.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/٢٢.

(٣) فتح القدير ٥٢٦/٢.

تَجْهَلُونَ﴾[هود:٢٩]، وقوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:١٠٩].

الآية السابعة:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل، كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه ، قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.[1]

قال قتادة: لم يتمن الموت أحد، نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام، حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل. وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفني مسلما، وهذا قول الجمهور. [2]

ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

أخبر تعالى أن أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، ترغيباً في الإيمان والتقوى إذ بهما تنال ولاية الله تعالى عز وجل؛ إذ أولياؤه هم المؤمنون المتقون، قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف:٥٧]، والأنبياء عليهم السلام أكثر الناس زهدا في الدنيا وتعلقا في

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤١٤.

(٢) تفسير القرطبي ٩/٢٦٩.

الآخرة وطلباً لها، والناظر في الآيات القرآنية يجد أن هذا يتضح من خلال ما يلي:

* دعوة أقوامهم للإيمان باليوم الآخر وكثرة تذكيرهم بذلك:

كان الإيمان باليوم الآخر وما يترتب على ذلك من حسن الاستعداد له بالعمل الصالح واستثمار الحياة الدنيا فيما يحقق حسن الاستخلاف الذي ابتلي به الإنسان في دار البلاء وأنه سيحاسب على أعماله فيها، وأن الآخرة هي دار الجزاء هو أساس في دعوة الأنبياء عليهم السلام، فذاك هود عليه السلام يحذر قومه من عاقبة هذا اليوم واصفاً إياه بأنه يوم عظيم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأحقاف:٢١]، ونوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وذكر الله تعالى عن شعيب ذلك فقال: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

- هجرتهم إلى الله وتحملهم الصعاب إيثاراً للآخرة:

فهذا لوط عليه السلام يقول قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦]

وانظر إلى تعلق قلب يوسف عليه السلام بالدار الآخرة وذلك يظهر في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

وهذا إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه وقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَـدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّـي شَـقِيًّا﴾ [مـريم:٤٨] أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله(١).

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مهاجراً ﴿ إِلَّا تَنصُـرُوهُ فَقَـدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَـا فِـي الْغَـارِ إِذْ يَقُـولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِـيَ الْعُلْيَـا وَاللَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠] وقد كان صلى الله عليه وسلم أزهد النَّـاس فـي الـدنيا وأكثرهم طلبا للآخرة، وهذا أمر من الله سبحانه له: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَـىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّـكَ خَيْـرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١]، عن عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قالت: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ)(٢).

* طلبهم للأجر من الله تعالى:

فمن تعلق قلبه في الآخرة زهد في الدنيا ولم يأبه بما عنـد النـاس وطلـب الأجر من الله تعالى، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَـأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَـى اللَّـهِ وَأُمِـرْتُ أَنْ أَكُـونَ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، وفي سورة الشعراء ذكر الله تعالى قول نوح وهـود وصـالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام، باتفاق كلمتهم لأقوامهم في حروفهـا ومعانيها، ﴿وَمَـا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ مِـنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّـا عَلَـىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ١٠٩].

---

(١) تفسير ابن كثير(٥/٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٤) ومسلم (٢٩٧٠).

* اختيارهم الرفيق الأعلى والدار الآخرة عند تخييرهم:
روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بُحّة شديدة فسمعته يقول: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء: ٦٩] ، فعلمت أنه خُيِّر))[1]، وفي رواية أخرى قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُحيّا، أو يُخيّر فلما اشتكى وحضره القبض ، ورأسه على فخذ عائشة ـ، غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى ، فقلت: إذاً لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدّثنا وهو صحيح)).[2]
وقد ثبت أن ملك الموت عليه السلام جاء إلى موسى عليه السلام فخيره بين الموت والحياة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها،
قال: فرجع الملك إلى الله عز وجل، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فردّ إليه عينه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرةٍ فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: ربّ أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله صلى

---
(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧).

الله عليه وسلم: لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عنـد الكثيـب الأحمر))[١].

وكذلك لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت، وشمله قد اجتمع، عرف أن هذه الدار لا يقر بها قرار، وأن كل شيء فيها ومن عليها فانٍ، وما بعـد التمام إلا النقصان، فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله، وسأل منه أن يتوفاه، أي: حين يتوفاه على الإسـلام، وأن يلحقه بعباده الصالحين، قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيـلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْـآخِرَةِ تَـوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف:١٠١] أي: أدم علي الإسـلام وثبتنـي عليه حتى توفاني عليه،﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ أي: أنه سأل الوفاة علـى الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله، وانقضى عمره؛ ولم يكـن هـذا دعاء باستعجال الموت؛ بل كما يقال في الدعاء: «اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين» أي: حين تتوفانا. [٢]

([١]) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

([٢]) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ٣٥٦. تيسير الكـريم الـرحمن، السـعدي ص ٤٠٥.

الفصل الثالث

معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في السلوك والامتثال وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عنايتهم بعبادات القلب والجوارح.

- أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير
- ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

المبحث الثاني: كمال بذلهم في نصرة الدين، وصبرهم على البلاء والمشقة في سبيل ذلك.

- أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير
- ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

الفصل الثالث : معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في السلوك والامتثال

المبحث الأول : عنايتهم بعبادات القلب والجوارح.

أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير

الآية الأولى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم:٥٤ - ٥٥]

هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه {كان صادق الوعد} قال ابن جريج: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها، يعني: ما التزم قط عبادة

بنذر إلا قام بها، ووفاها حقها.

وقال بعضهم: إنما قيل له: {صادق الوعد} ؛ لأنه قال لأبيه: {ستجدني إن شاء الله من الصابرين} [الصافات: ١٠٢] ، فصدق في ذلك، فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} [الصف: ٢، ٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"، ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضا، لا يعد أحدا شيئا إلا وفى له به ،وقوله: {وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا}: هذا أيضا من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة حيث كان مثابرا على طاعة ربه آمرا بها لأهله، كما قال تعالى لرسوله: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر

عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقــوى} [طــه: ١٣٢] ، وقــال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد} الآيـــة [التحــريم: ٦] أي: مــروهم بــالمعروف، وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة، وقد جــاء في الحديث، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضــح فــي وجههــا الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجهــا، فــإن أبــى نضحت في وجهه الماء" أخرجه أبو داود، وابن ماجه.

وعن أبي سعيد، وأبي هريرة، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليــه وسلم قال: "إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين، كتبــا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات". رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجــه، واللفظ له.

الآية الثانية: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْــوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [الأنبياء:٩٠] واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه (رَبِّ لا تَذَرْنِي) وحيدا (فَرْداً) لا ولد لي ولا عقب (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثنــي، ثم ردّ الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، يقول الله جلّ ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولداً ووارثاً يرثه، وأصلحنا له زوجه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عنــاه الله جــلّ ثنــاؤه بقولــه (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) فقال بعضهم: كانت عقيماً فأصلحها بأن جعلها وَلُوداً.

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) يقول الله: إن الــذين ســميناهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل

بما يقرّبهم إلينا، وقوله (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) يقول تعالى ذكـره: وكـانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبـادة، كمـا قـال (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكـون بـدعاء ربي شقيا) ويعنى بقوله (رَغَبا) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله (وَرَهَبا) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.(١)

الآية الثالثة: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص:٢٤]

وقوله: وَخَرَّ أي ألقى بنفسه نحو الأرض متضـامناً متواضـعاً، والركـوع والسجود: الانخفاض والترامي نحو الأرض، وخصصتها الشرائع على هيئات معلومة ، وقال قوم يقال: «خر» ، لمن ركع وإن كان لم ينته إلـى الأرض ، وقال الحسن بن الفضل، المعنى: خر من ركوعه، أي سـجد بعـد أن كـان راكعاً.(٢)

الآية الرابعة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَـةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ 38 فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَـةٍ مِـنَ اللَّـهِ وَسَـيِّدًا وَحَصُـورًا وَنَبِيًّـا مِـنَ الصَّالِحِينَ39 ﴾ [آل عمران:٣٩-٤٠]

قال الله تعالى {هنالك} أي عند ذلك {دعا زكريا ربه} فدخل المحراب [وأغلق الباب] وناجى ربه {قال رب} أي يا رب {هب لي} أعطني {من لدنك} أي من عندك {ذرية طيبة} أي ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضياً، {فنادته الملائكة} وأراد

(١) تفسير الطبري ٥٢١/١٨.

(٢) تفسير ابن عطية ٥٠١/٤.

بالملائكة هاهنا: جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل " ينزل الملائكة" يعني جبريل (بالروح) بالوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: " الذين قال لهم الناس " (١٧٣ –آل عمران) يعني نعيم بن مسعود "إن الناس" يعني أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيسا يجوز الإخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقل ما يبعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك، قوله تعالى: {وهو قائم يصلي في المحراب} أي: في المسجد.[١]

الآية الخامسة: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ 141 فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ 142 فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ 143 لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ144 ﴾ [الصافات:١٤١- ١٤٤] ، {فساهم} أي: قارع {فكان من المدحضين} أي: المغلوبين، وقوله: {فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون}، قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء. قاله الضحاك بن قيس، وأبو العالية، ووهب بن منبه، وقتادة، وغير واحد. واختاره ابن جرير. وقد ورد في الحديث الذي سنورده ما يدل على ذلك إن صح الخبر. وفي حديث عن ابن عباس: " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعطاء بن السائب، والسدي، والحسن، وقتادة: {فلولا أنه كان من المسبحين} يعني: المصلين.

الآية السادسة: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا 33 وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا34 ﴾ [طه:٣٣-٣٤] (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً) يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً (وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) فنحمدك.[٢]

---

(١) تفسير البغوي ٣٤/٢.

(٢) تفسير الطبري ٣٠١/١٨.

الآية السابعة: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(22) ﴾ [القصص:٢٠-٢٢]

{وَجَاءَ رَجُل} هُوَ مُؤْمِن آل فِرْعَوْن {مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَة} آخِرهَا {يَسْعَى} يُسْرِع فِي مَشْيه مِنْ طَرِيق أَقْرَب مِنْ طَرِيقهمْ {قَالَ يَا مُوسَى إنَّ الْمَلَأ} مِنْ قَوْم فِرْعَوْن {يَأْتَمِرُونَ بِك} يَتَشَاوَرُونَ فِيك {لِيَقْتُلُوك فَاخْرُجْ} مِنْ الْمَدِينَة {إنِّي لَك مِنْ النَّاصِحِينَ} فِي الْأَمْر بِالْخُرُوجِ {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّب} لُحُوق طَالِب أَوْ غَوْث اللَّه إيَّاهُ {قَالَ رَبّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْم الظَّالِمِينَ} قَوْم فِرْعَوْن.[١]

ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

تضرعهم عليهم الصلاة والسلام إلى ربهم وسؤاله قضاء حوائجهم:

ذكر الله عز وجل في آخر سورة الأنبياء مجموعة من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وهم يسألون ربهم ويتضرعون إليه في قضاء حوائجهم ويتوسلون إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته كما يتوسلون بفاقتهم وافتقارهم إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يقول ابن القيم رحمه الله معلقا على هذا الدعاء الخاشع من أيوب عليه السلام: جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجد طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره)[٢].

---

(١) تفسير الجلالين ص ٥٠٩.

(٢) بدائع التفسير (١٨٩/٣).

وفي هذه الآيات أيضاً ذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل وأنهم من الصابرين ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يقول الشيخ السعدي: فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا.(١)

يقول تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول ابن القيم: وأما دعوة ذي النون فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه، ما هو من أبلغ أدوية الكرب، والهم، والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله – سبحانه – في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال الله، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف.(٢)

---

(١) تفسير السعدي ص٥٢٩.

(٢) زاد المعاد ١٩١/٤.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] يقول الشيخ السعدي أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.(١)

وهذا هو دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كثرة ذكرهم لله عز وجل وتسبيحه في الرخاء والشدة وفي كل حين مع دعائهم لربهم واعترافهم بظلمهم لأنفسهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٩٠]. يقول الواحدي: يُبادرون في عمل الطَّاعات {ويدعوننا رغباً} في رحمتنا {ورهباً} من عذابنا {وكانوا لنا خاشعين} عابدين في تواضع.(٢)

* خشوهم وبكاؤهم عند ذكر الله عز وجل:

أثنى الله على طائفة من أنبيائه بعد أن ذكرهم في سورة مريم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨] يقول ابن كثير: أي: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعا واستكانة، وحمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة.

"والبكي": جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا، اقتداء بهم، واتباعا لمنوالهم.(٣)

---

(١) تفسير السعدي ص٧٠٧.

(٢) الوجيز ص٧٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٤٢/٥.

* دعاؤهم عليهم الصلاة والسلام ربهم بالثبات على الحق والموت على التوحد والإسلام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥]، ودعا أيضا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[الشعراء:٨٣] ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:١٥٦]

وقوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف:١٠١]

قوتهم في طاعة الله عزوجل وعبادته:

هذه الصفة العظيمة من أبرز ما في حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فهم أكثر الناس عبادةً وطاعةً وإخباتاً لله عز وجل، يقول تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[ص:٤٥]

عن عطاء الخراساني قال: (أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) أولو القوة في العبادة والعلم، وعن مجاهد وروي عن قتادة قال: أعطوا قوة العبادة وبصراً في الدين.[1] فهذا شعيب عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد، ثم أمرهم بترك

---

(١) مجموع الفتاوى(١٩/١٧٠).

البخس، والنقص في المكيال والميزان، وكان عليه السلام مصليا، وأنكر قومه عليه صلاته، مع ما يدعوهم إليه من الإيمان، فقال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. وإسناد "الأمر إلى الصلاة دون غيرها من العبادات؛ لأنه كان كثير الصلاة معروفًا بذلك حتى إنهم كانوا إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا"[(١)]

ونبي الله داود عليه السلام: كان عليه السلام كثير الرجوع إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، ولكثرة استغفاره وعبادته، مدحه الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]. عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ».[(٢)]

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يثني عليهم ربهم فيقول: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ

---

(١) تفسير المراغي ١٢/٧٢-٧٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ج٤ ص١٦١، رقم ح٣٤٢٠،

وفي صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر، ج٢ ص٨١٦، رقم ح ١١٥٩.

أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:٢٩]

يقول ابن كثير: وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله، عز وجل، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه، تعالى، عنهم وهو أكبر من الأول، كما قال: {ورضوان من الله أكبر} [التوبة: ٧٢].[1]

نبي الله زكريا عليه السلام: لم ينقطع عن الدعاء وسؤال الولد، وعن العبادة والتوجه إلى ربه، فجاءته البشرى وهو في محراب صلاته؛ قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ فخاطبته الملائكة وأسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته فالمحراب هو الْمصلى، والمحراب أصله في المسجد، وهو اسم خصَّ به صدر المجلس، فسمِّي صدر البيت محرابًا تشبيهًا بمحراب المسجد.

(١) تفسير ابن كثير(٣٦١/٧).

- عبادات القلب عند الأنبياء:

قد يَغفُل كثيرٌ من النَّاس عن الاعتِناء بأعمال القلوب، مع أنَّ ذلك من جملة الإيمان، بل إنَّ ذلك من أوَّل ما يَدخل في الإيمان، قال ابن تيمية: "ولا بدَّ أن يَدخل في قوله: اعتِقاد القلب أعمالُ القلب المقارنة لتصديقِه؛ مثل حبِّ الله، وخشية الله، والتوكُّلِ على الله ونحو ذلك، فإنَّ دخول أعمال القلْب في الإيمان أوْلى من دخول أعمال الجوارح باتِّفاق الطَّوائف كلها"(١).

وعمَل القلب أشدُّ وجوباً من عمَل الجوارح؛ ولذا قال ابن القيِّم موضحاً ذلك: "ومن تأمَّل الشريعةَ في مصادرها ومواردِها علِم ارتباطَ أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنَّها لا تَنفع بدونها، وأنَّ أعمال القلوب أفْرَضُ على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميَّز المؤمن عن المنافق إلَّا بما في قلب كلِّ واحدٍ منهما من الأعمال التي ميزَت بينهما، وهل يمكن أحدٌ الدُّخولَ في الإسلام إلَّا بعمل قلبه قبل جوارحه، وعبوديَّةُ القلب أعظَمُ من عبوديَّة الجوارح، وأكثر وأدوم؛ فهي واجِبةٌ في كلِّ وقت"(٢).

وقال: "وعمل القلب؛ كالمحبَّة له والتوكُّل عليه، والإنابةِ إليه والخوفِ منه، والرَّجاءِ له وإخلاص الدِّين له، والصَّبرِ على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرِّضى به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذلِّ له والخضوع، والإخباتِ إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرْضها أفرْضُ من أعمال الجوارح، ومستَحَبُّها أحبُّ إلى الله من مستحَبِّها، وعمَل الجوارح بدونها إمَّا عديم المنفعة أو قليل المنفعة"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٠٦).

(٢) "بدائع الفوائد" (٣ / ١٩٣)، وانظر التحفة العراقية ضمن مجموع الفتاوى (١٠ / ٦).

(٣) "مدارج السالكين" (١ / ١١٤)، وانظر: "تجريد التوحيد المفيد"؛ للمقريزي (١١٧).

من أمثلة عبادة الرجاء عند الأنبياء قصّة نبيّ الله يعقوب -عليه السلام-، حيث كان رجاؤه بالله رجاءً لا يخيب، صبر لفقد ابنه يوسف ومن ثمّ فقد أخيه، ولم يقطع الرجاء بالله والأمل به، وتعاظم صبره وسعى للبحث عنهما، حيث قال لأبنائه: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ أمّا زكريا فقد أدركه الأمل والرجاء بالله -تعالى-، فسأله الولد بعد أن ضعُف وامتلأ شعره شيباً وكَبُرَ في العمر، فاجتهد بدعائه إلى الله بأن يرزقه ولداً، فمنّ الله عليه بيحيى.

المبحث الثاني كمال بذلهم في نصرة الدين، وصبرهم على البلاء والمشقة في سبيل ذلك.

أولاً: الآيات الدالة على هذا المعلم، وتفسير ما يحتاج منها إلى تفسير:

الآية الأولى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص:٤٤]

وقوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً) يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثاً، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرُّطْبة، وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق (وَلا تَحْنَثْ) يقول: ولا تحنَثْ في يمينك.

وقوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول: إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع..[1]

الآية الثانية:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ(١١)﴾[القمر:٩-١١]

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسَل إليه رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه، أنه محلّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجّ نبيه محمدا والمؤمنين به، كما نجَّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلَّها بأممهم، فقال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كذّبت يا محمد قبل

---

(١) تفسير الطبري ٢١/٢١٢.

هؤلاء الذين كذّبوك من قومك، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ – قوم نوح، فكذّبوا عبدنا نوحا إذ أرسلناه إليهم، كما كذّبتك قريش إذ أتيتهم بالحقّ من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر، وهو افْتُعِل من زجرت، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زايا صيروا تاء الافتعال منه دالاً من ذلك قولهم: ازدجر من زجرت، وازدلف من زلفت، وازديد من زدت.(١)

الآية الثالثة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣]

قال: {رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه} أي: من الفاحشة، {وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن} أي: إن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضرا ولا نفعا إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي.

{أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم} وذلك أن يوسف، عليه السلام، عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال، والرياسة ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفاً من الله ورجاء ثوابه.(٢)

الآية الرابعة: ﴿إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(67) ﴾[الأعراف:٦٥-٦٧]

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/٥٧٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٨٦.

و} أَرْسَلْنَا {إِلَى عَادٍ} الْأُولَى {أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْم اُعْبُدُوا اللَّه} وَحِّدُوهُ {مَا لَكُمْ مِنْ إلَه غَيْره أَفَلَا تَتَّقُونَ} تَخَافُونَهُ فتؤمنون{قَالَ الْمَلَأ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ قَوْمه إنَّا لَنَرَاك فِي سَفَاهَة} جَهَالَة {وَإِنَّا لَنَظُنّك مِنْ الكاذبين} في رسالتك {قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين}.[1]

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ * قَالَ إِنِّـي لِعَمَلِكُـم مِّـنَ ٱلۡقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[الشعراء:١٦٧-١٦٩]

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ) عن نهينا عن إتيـان الذكران (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بين أظهرنا وبلدنا ، (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيـان الـذكران فـي أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله ، يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي) من عقوبتك إياهم علـى مـا يعملون من إتيان الذكران.[2]

الآية الخامسة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ فَـإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِق فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٢٥٨]

ألم تر، يا محمد، إلى الذي حاج إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم:"ربـي الذي يحيي ويميت"، يعني بذلك: ربي الذي بيده الحياة والموت، يحيي مـن يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء. قال: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء لـه= وذلـك عنـد العـرب

---

(١) تفسير الجلالين ص٢٠٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٨٩/١٩.

يسمى"إحياء"، كما قال تعالى ذكره: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًـا) [سورة المائدة: ٣٢] = وأقتل آخر، فيكون ذلك مني إماتة له ، قال إبـراهيم صلى الله عليه وسلم: فإن الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأت بها- إن كنت صادقا أنك إله- من مغربها! قال الله تعالى ذكره:"فبهت الـذي كفر"، يعني انقطع وبطلت حجته.[١]

الآية السادسة: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّـكَ يَـا شُـعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَـوْ كُنَّـا كَـارِهِينَ (٨٨)﴾[الأعراف:٨٨]

هذا إخبار من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبي الله شعيباً ومن معه مـن المؤمنين، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القريـة، أو الإكـراه علـى الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه. وهذا خطاب مـع الرسـول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة.

وقوله: {أولو كنا كارهين} يقول: أو أنتم فاعلون ذلك ولو كنا كارهين مـا تدعونا إليه؟ فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه، فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً.

الآية السابعة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّـي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِـمَ حَشَـرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَـذَلِكَ الْيَـوْمَ تُنْسَى(١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْـآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى(١٢٧)﴾[الصافات:١٢٣-١٢٧]

---

(١) تفسير الطبري ٥/٤٣٢.

يمدح تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يقال له "بعل" وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرَّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ " وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغي؟ "{فَكَذَّبُوهُ} فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعدا لهم: {فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} أي يوم القيامة في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية.(١)

ثانياً: الدلالات الموضوعية للآيات في هذا المعلم

الأنبياء هم أكثر الناس صبراً وبذلاً وتضحيةً في سبيل الله تعالى، قال تعالى آمراً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر: ﴿اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] قال السعدي: (أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتمَّ يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم).(٢)

ويتضح صبر الأنبياء وبذلهم لدين الله عز وجل من خلال الدلالات التالية:

صبر أنبياء الله على سخرية أقوامهم منهم، ورميهم بالسحر والجنون والسفاهة والكذب والضلالة: والآيات في ذلك كثيرة منها:

---

(١) تفسير السعدي ص٧٠٧.

(٢) تفسير السعدي ص(٧٨٣).

قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] وقوله أيضاً عنهم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥]

وقال عز وجل عن قوم هود عليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥(﴾ [الأعراف: ٦٦]

وقوله تعالى عن قوم صالح: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]

وذات المقولة عن قوم شعيب لنبيهم: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥]

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٧٦]

وقال تعالى عن مشركي العربي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]

وقال عز وجل مخبراً عن هذا الموقف الموحد من المشركين مع أنبيائهم عليهم السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]

وقال تعالى يصبر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ [الأنعام: ٣٤].

صبر أنبياء الله على أقدار الله تعالى وما ينزل بهم من البلاء:

وهنا نكتفي بذكر نبي الله أيوب عليه السلام، الذي صبر غاية الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

يقول ابن كثير: يذكر تعالى عن أيوب، عليه السلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثير، ومنازل مرضية ، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال بالجذام في سائر بدنه- ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره.(١)

صبر أنبياء الله عليهم السلام على اتهام أقوامهم لهم بأنهم طلاب دنيا وملك تارة وأنهم أهل فساد وإفساد تارة أخرى:

ومن ذلك قول قوم نوح عليه السلام له، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]

وقوله تعالى عن فرعون وقومه في افترائهم على موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨] وقوله تعالى عنهم كذلك: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقوله أيضا: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٥.

فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

صبر أنبياء الله تعالى على تهديد أقوامهم لهم بالقتل والسجن والإخراج من الأرض:

وهذا كله عناه أنبياء الله عليه السلام في سبيل نصرة دين الله تعالى، ومنه قوله سبحانه عن تهديد قوم نوح له: ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦] فصبر نوح عليه السلام وقضى ألف سنة إلا خمسين عاماً كلها دعوة إلى الله.

وصبر إبراهيم عليه السلام على كل ما نزل به فجُمع له الحطب الكثير، وأوقدت فيه النار العظيمة، فألقي فيها، فكانت برداً وسلاماً ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]

وفي تهديد قوم شعيب له يقول تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقول قوم لوط مهددين لوطاً عليه السلام يقول تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]

وقوله تعالى عن تهديد فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام بالقتل: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]

وعن تآمر التسعة على نبي الله صالح عليه السلام يقول تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩]

ونختم بما تعرض لهم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم من التهديد بالسجن أو الإخراج أو القتل، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]

الخاتمة

وفي الختام نحمد الله أولاً وآخراً على ما يسر من كتابة هذا البحث، ونسـأل الله النفع والعون والتوفيق والقبول. ونخلص إلى أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١. في معاني الرباني قولين رئيسين وثالث ضعيف: الأول: أنها مشتقة من (الرِّب) الذي هو الله تعالى، والثاني: وأنها مشتقة من المصدر (الرَّبّ)، وقريب منه من قال بأنها: من (الرَّبَّان) الذي (يَرُبُّ) العلـم أو (يَـرُبُّ) الناس ويربيهم، والثالث: أنها ليست عربية.

٢. يخلص الباحث إلى خصائص للربانيين وذلك بأنهم: علمـاء، فقهـاء، حكماء، حلماء، أتقياء، معلمين، يغذون النـاس بالحكمـة، ويربـونهم عليها، منسوبون إلى الرب؛ لأن العلم مما يطاع الله به، فهم قد جمعوا بين العلم، والعمل، وصاروا بمنزلة عليا من العلم، والامتثال، والتربية.

٣. بالنظر في القرآن الكريم نجد أن الأنبياء هم أكثر الناس تحقيقاً للربانية بل هم القدوة في ذلك.

٤. من معالم الربانية في حياة الأنبياء في المعتقد والتصور: كمال علمهم بالله تعالى ويقينهم بما عنده، وذلك متحقق بتوحيدهم لله سبحانه، وقوة علمهم به عز وجل، وانقيادهم لأمر الله تعالى في تبليغ رسالته للناس، واستجابتهم لأوامر الله تعالى ووحيه في الابتلاءات والاختبارات.

٥. من معالم الربانية في حياة الأنبياء فـي القصـد والتوجـه: خلـوص نفوسهم لله تعالى، واستغناؤهم به عن كل شيء سواه وتـرفعهم عـن الدنيا، وإرادتهم وجه الله، وتعلق قلوبهم بالدار الآخرة بدعوة أقوامهم للإيمان باليوم الآخر، وهجرتهم إلـى الله وتحملهـم الصـعاب إيثـاراً

للآخرة، طالبين للأجر من الله تعالى، واختيارهم الرفيق الأعلى عند تخييرهم.

٦. من معالم الربانية في حياة الأنبياء عليهم السلام في السلوك والامتثال: عنايتهم بعبادات القلب والجوارح بتضرعهم إلى ربهم وسؤاله قضاء حوائجهم، وخشوهم وبكاؤهم عند ذكر الله عز وجل، ودعاؤهم ربهم بالثبات على الحق والموت على التوحد والإسلام، وقوتهم في طاعة الله عزوجل وعبادته، وكمال بذلهم في نصرة الدين، وصبرهم على سخرية أقوامهم منهم واتهامهم لهم، وعلى أقدار الله تعالى وما ينزل بهم من البلاء.

ثانياً: التوصيات:

١-الاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فهما مصدر الربانية والسعادة والخير في الدنيا والآخرة.

٢-تعميم دراسة الربانية منهجاً وسلوكاً في المؤسسات والهيئات والمساجد والمدارس والجامعات وغيرها.

تصدير الأنبياء عليهم السلام كقدوات للشاب المسلم والدعاة إلى الله تعالى في وسائل الإعلام والمنهاج الدراسية.

٣- عمل دراسات متخصصة في معالم الربانية في حياة كل نبي من أنبياء الله وخصوصاً نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم.

٣-إنشاء مراكز ومؤسسات وجمعيات متخصصة لإحياء الربانية في الأمة.

فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢ه)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط:١٤٢٠هـ.
٣. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
٤. بدائع التفسير: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: يسري السيد – صالح الشامي، دار ابن الجوزي – الرياض.
٥. تجريد التوحيد المفيد: المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.
٦. التحرير والتنوير، الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.
٧. التحفة العراقية في الأعمال القلبية: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،

الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩، عدد الأجزاء: ١.

٨. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور: المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٩. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ه)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط:١، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

١٠. تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط:٣، ١٤١٩ هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٣. تفسير القرآن الكريم، (الحديد- الجرات)، محمد بن صالح العثيمين، عنيزة/ دار الثريا للنشر ط:١، ٢٠٠٤-١٤٢٥.

١٤. تفسير المراغي: المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغـي (المتـوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبـي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولـى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، عـدد الأجزاء: ٣٠.
١٥. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الـدين محمـد المـدعو بعبـد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابـدين الحـدادي ثـم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦ه)، تحقيق: عبد الـرحمن بـن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بـن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمـد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفـيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسـول الله ﷺ وسـننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخـاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكـر جـلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.

٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.
٢٢. ربانية لا رهبانية، علي الحسيني الندوي، أبو الحسن، دار الفتح، 01 يناير ٢٠٠٠.
٢٣. روائع البيان تفسير آيات الأحكام: المؤلف: محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ٢.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٥. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: جزءان.
٢٦. الطريق إلى الربانية منهجا وسلوكا، مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١.
٢٧. كتاب العين: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال
٢٨. عدد الأجزاء: ٨.

٢٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣٠. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤ هـ.

٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٣٢. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط:٨، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٣٣. قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

٣٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابـــن منظور، دار صادر – بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.
٣٦. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.
٣٨. مجموع الفتاوى: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٨ه.
٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤٢٢ ه.

٤١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:١ ، ١٤٢٠هـ.
٤٣. معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.
٤٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٤٥. معجم لغة الفقهاء: المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٤٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٢٠ ه.
٤٧. المفردات في غريب القرآن: المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان

عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٤٨. المفردات في غريب القرآن: المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.
٤٩. موسوعة التفسير الموضوعي، مجموعة من الباحثين، إشراف مركز تفسير، موقع الموسوعة على الإنترنت. https://modoee.com/.
٥٠. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
٥١. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، تحقيق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
٥٢. النبوة والأنبياء: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، مؤسسة مناهل العرفان– بيروت.
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٤. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق:

السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

٥٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٥ هـ.

٥٧. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز بن ناصر الجليل عدد الأجزاء: ٣ الطبعة: الثانية - ١٤١٩هـ/١٩٩٨م الناشر: دار طيبة – الرياض.

Faharas Almasadir & Almarajie

1. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkarim, 'abu alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bin mustafaa (almutawafaa: 982ha), dar 'iihya' alturath alearabi- bayrut.
2. albahr almuhit fi altafsiri, 'abu hayaan muhamad bin yusif bin ealii bin yusif bin hayaan 'uthir aldiyn al'andalusii (almutawafaa: 745hi), tahqiqu: sidqi muhamad jamil, dar alfikr - bayrut, ta:1420h.
3. badayie alfawayidi: muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia (almutawafaa: 751ha), alnaashir: dar alkutaab alearabi, bayrut, lubnan, eadad al'ajza'i: 4.
4. badayie altafsiri: muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia (almutawafaa: 751hi), tahqiqu: yusri alsayid - salih alshaami, dar abn aljawzi - alriyad.
5. tajrid altawhid almufidi: almualafi: 'ahmad bin eali bin eabd alqadir, 'abu aleabaas alhusaynii aleubaydi, taqi aldiyn almiqrizi (almutawafaa: 845h), almuhaqaqi: tah muhamad alziyni, alnaashir: aljamieat al'iislamiatu, almadinat almunawarati, altabeatu: 1409h/1989m, eadad al'ajza'i: 1.
6. altahrir waltanwiru, al'iimam alshaykha: muhamad altaahir, abn eashur, aldaar altuwnusiat lilnashri- tunis, 1984m.
7. altuhfat aleiraqiat fi al'aemal alqalbiiti: almualafi: taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad aibn taymiat alharaani alhanbali aldimashqii (almutawafaa: 728h), alnaashir: almatbaeat alsalafiat - alqahirata, altabeatu: althaaniatu, 1399, eadad al'ajza'i: 1.

8. tathir alaietiqad ean 'adran al'iilhad wayalih sharh alsudur fi tahrim rafe alqubur: almualafa: muhamad bin 'iismaeil alsaneani, muhamad bin eali bin muhamad alshshwkani, almuhaqaqa: eabd almuhsin bin hamd aleabaad albadr, alnaashir: matbaeat sfiri, alrayad, almamlakat alearabiat alsaeudiat, altabeati: al'uwlaa, 1424hi.
9. tafsir alqurani, 'abu almuzafar mansur bin muhamad bin eabd aljabaar abn 'ahmad almaruzii alsimeanii altamimii alhanafii thuma alshaafieiu (almutawafaa: 489hi), tahqiqu: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin ghunimi, dar alwatanu, alrayad- alsueudiati, ta:1, 1418h-1997m.
10. tafsir aljalalin: jalal aldiyn muhamad bin 'ahmad almahaliyi (almutawafaa: 864hi) wajalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr alsuyuti (almutawafaa: 911h), alnaashir: dar alhadith - alqahirati, altabeatu: al'uwlaa
11. tafsir alquran aleazimi, 'abu muhamad eabd alrahman bin muhamad bin 'iidris bin almundhir altamimi, alhanzali, alraazii abn 'abi hatim (almutawafaa: 327hi), tahqiqu: 'asead muhamad altayib, maktabat nizar mustafaa albazi- almamlakat alearabiat alsueudiati, ta:3, 1419 hu.
12. tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqiu (almutawafaa: 774hi), tahqiqu: sami bin muhamad salamata, dar tiibat lilnashr waltawziei, ta:2, 1420h - 1999 mi.
13. tafsir alquran alkarim, (alhididi- aljarati), muhamad bin salih aleuthaymini, eanizata/ dar althuraya lilnashr ta:1, 2004-1425.
14. tafsir almaraghi: almualafi: 'ahmad bin mustafaa almaraghi (almutawafaa: 1371hi), alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii

wa'awladuh bimasri, altabeati: al'uwlaa, 1365 hi - 1946 mu, eadad al'ajza'i: 30.

15. altawqif ealaa muhimaat altaearifi, zayn aldiyn muhamad almadeui baeabd alrawuwf bin taj alearifin bin eali bin zayn aleabidin alhadaadii thuma alminawi alqahiriu (almutawafaa: 1031hi), ealam alkutub 38 eabd alkhaliq thurut-alqahrat, ta:1, 1410h-1990m.

16. taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani, eabd alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedii (almutawafaa:1376hi), tahqiqu: eabd alrahman bin maeala alllwayahaqi, muasasat alrisalati, ta:1, 1420h-2000m.

17. jamie albayan fi tawil alqurani, muhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli 'abu jaefar altabari (almutawafaa: 310hi), tahqiqu: 'ahmad muhamad shakr, muasasat alrisalati, ta:1, 1420 hi - 2000 mi.

18. aljamie li'ahkam alquran (tafsir alqurtubii), 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr alqurtubii tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat - alqahiratu, ta:2 , 1384h - 1964 mi.

19. aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah ρ wasunanuh wa'ayaamuh (shih albukharii), muhamad bin 'iismaeil 'abu eabd allah albukharii aljaeafi, tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, dar tawq alnajati, ta: 1, 1422h.

20. aldir almanthur fi altafsir bialmathur, eabd alrahman bin 'abi bakr jalal aldiyn alsuyutii (almutawafaa: 911hi), dar alfikr - bayrut.

21. zad almuead fi hady khayr aleabadi, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn aibn qiam aljawzia (almutawafaa: 751hi), alnaashir: muasasat alrisalati, bayrut - maktabat almanar al'iislamiati, alkuayti, altabeatu: alsaabieat waleishrun , 1415h /1994m, eadad al'ajza'i: 5.

22. rbaniat la rahbaniatu, ealii alhusaynii alnadawi, 'abu alhasani, dar alfath, 01 yanayir 2000. 23. rawayie albayan tafsir ayat al'ahkami: almualafi: muhamad eali alsaabuni, tabie ealaa nafaqati: hasan eabaas alsharbatli, alnaashir: maktabat alghazali - dimashqa, muasasat manahil aleirfan - bayrut, altabeata: althaalithata, 1400 hi - 1980 mu, eadad al'ajza'i: 2.

24. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani: shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusayni al'alusi (almutawafaa: 1270h), almuhaqiq: eali eabd albari eatiat, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1415 h.

25. sharh aleaqidat altuhawiati: abn 'abi aleizi - ealiin bin ealiin bin muhamad bin 'abi aleizi aldimashqi, muasasat alrisalati, sanat alnashri: 1417h / 1997m, eadad al'ajza'i: juz'ani.

26. altariq 'iilaa alrabaaniat manhajan wasuluka, majdi alhalali, dar altawzie walnashr al'iislamiati, ta1.

27. ktab aleayni: almualafu: 'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamriw bin tamim alfarahidi albasari (almutawafaa: 170hi), almuhaqiqi: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, alnaashir: dar wamaktabat alhilal. eadad al'ajza'i: 8.

29. fth albayan fi maqasid alqurani, 'abu altayib muhamad sidiyq khan bin hasan bin ealiin aibn lutf allah alhusaynii albukharii alqinnawjy (almutawafaa: 1307hi), eaniy btbeh wqddm lah warajieah: khadim alealam eabd allah bin 'iibrahim alansary, almaktbt alesryat lltbaet walnnshr, sayda - bayrwt, 1412h - 1992m.

30. fath alqidir, almualafi: muhamad bin ealii bin muhamad bin eabd alllh alshuwkanii alyamanii (almutawafaa: 1250ha), dar abn kathirin, dar alkalm altayib - dimashqa, bayrut, ta:1, 1414 hi.

31. fath albari sharh sahih albukharii: 'ahmad bin ealiin bin hajar 'abu alfadl aleasqalaniu alshaafieii, alnaashir: dar almaerifat - bayrut, 1379, raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi, qam bi'iikhrajih wasahhih wa'ashraf ealaa tabeihi: muhibu aldiyn alkhatibi.
32. alqamus almuhiti, majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruz abadi, tahqiqu: maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalati, 'iishraf muhamad naeim aleirqasusi, muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie- bayrut- lubnan, ta:8, 1426h-2005m.
33. qisas al'anbia'i: 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqiu (almutawafaa: 774hi), tahqiqu: mustafaa eabd alwahidi, matbaeat dar altaalif - alqahiratu, altabeatu: al'uwlaa, 1388 hi - 1968 mi.
34. alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil: almualafi: 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (almutawafaa: 538h), alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut, altabeatu: althaalithat - 1407 hu.
35. lsan alearbi, muhamad bin makram bin ealaa ،'abu alfadali, jamal aldiyn aibn manzuri, dar sadir- bayrut, ta: 3, 1414 hi.
36. mujmal allughati, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwini alraazi, 'abu alhusayn (almutawafaa: 395hi), dirasat watahqiqu: zuhayr eabd almuhsin sultan, muasasat alrisalat - bayrut, ta:2, 1406 hi - 1986m.
37. mdarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaein: almualafa: muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia (almutawafaa: 751hi), almuhaqaqi: muhamad almuetasim biallah albaghdadii, alnaashir: dar alkitaab

alearabii - bayrut, altabeata: althaalithata, 1416 hi - 1996m, eadad al'ajza'i: 2.
38. majmue alfatawaa: almualafi: taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiat alharaani (almutawafaa: 728hi), almuhaqiq: eabd alrahman bin muhamad bin qasimi, alnaashir: majamae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, eam alnashri: 1416h/1995m.
39. mahasin altaawila, muhamad jamal aldiyn bin muhamad saeid bin qasim alhalaaq alqasimii (almutawafaa: 1332hi), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta:1, 1418h.
40. almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin tamaam bin eatiat al'andalusii almuharibii (almutawafaa: 542hi), tahqiqu: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta:1, 1422 hu.
41. almusnid alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalama, muslim bn alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii alnaysaburii (almutawafaa: 261hi), tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
42. maealim altanzil fi tafsir alquran = tafsir albghwi, muhyi alsanat , 'abu muhamad alhusayn bin maseud bin muhamad bin alfaraa' albaghawi alshaafieiu (almutawafaa : 510h), tahqiq : eabd alrazaaq almahdi, dar 'iihya' alturath alearabii -birut, ta:1 , 1420h.
43. maeani alqira'ati, muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alhurawi, 'abu mansur (almutawafaa: 370ha), markaz albuhuth fi kuliyat aladab - jamieat almalik saeud, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta:1, 1412 hi - 1991 mi.

44. maejam maqayis allughati, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwinii alraazi, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri, 1399h - 1979m.
45. maejam lughat alfuqaha'i: almualafi: muhamad rawaas qaleaji - hamid sadiq qanibi, alnaashir: dar alnafayis liltibaeat walnashr waltawzie, altabeati: althaaniati, 1408h - 1988m.
46. mafatih alghayb = altafsir alkabiru, 'abu eabd allah muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymi alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazii khatib alrayi (almutawafaa: 606hi), dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, ta:3, 1420 hu.
47. almufradat fi gharayb alqurani: almualafu: 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (almutawafaa: 502hi), almuhaqiqi: safwan eadnan aldaawudi, alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut, altabeatu: al'uwlaa - 1412 hu.
48. almufradat fi gharayb alqurani: almualafu: 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (almutawafaa: 502hi), almuhaqiqi: safwan eadnan aldaawudi, alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut, altabeatu: al'uwlaa 1412 hu.
49. musueat altafsir almawdueii, majmueat min albahithina, 'iishraf markaz tafsiri, mawqie almawsueat ealaa al'iintirnta. https://modoee.com/.
50. maeani alquran: 'abu jaefar alnahaas 'ahmad bin muhamad (almutawafaa: 338hi), almuhaqaqi: muhamad eali alsaabuni, alnaashir: jamieat 'umi alquraa - makat almarmatu, altabeatu: al'uwlaa ،1409.
51. alnashr fi alqira'at aleashri, shams aldiyn 'abu alkhayr aibn aljazari, muhamad bin muhamad bin yusif

(almutawafaa : 833 hu), tahqiq : eali muhamad aldibae (almutawafaa 1380 hu), almatbaeat altijariat alkubraa [taswir dar alkitaab aleilmiati].
52. alnubuat wal'anbia'i: muhamad eali alsaabuni, altabeat al'uwlaa, muasasat manahil aleirfan- bayrut.
53. nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr, 'iibrahim bin eumar bin hasan alribat bin ealii bin 'abi bakr albiqaeii (almutawafaa: 885ha), dar alkitaab al'iislamii, alqahirati.
54. alnukt waleuyunu, 'abu alhasan eali bin muhamad bin muhamad bin habib albasarii albaghdadiu, alshahir bialmawardii (almutawafaa: 450hi), tahqiqu: alsayid aibn eabd almaqsud bin eabd alrahim, dar alkutub aleilmiat - bayrut / lubnan.
55. alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra: almualafi: majd aldiyn 'abu alsaeadat almubarak bin muhamad bin muhamad bin muhamad aibn eabd alkarim alshaybanii aljazarii abn al'uthir (almutawafaa: 606hi), alnaashir: almaktabat aleilmiat - bayrut, 1399h - 1979m, tahqiqu: tahir 'ahmad alzaawaa - mahmud muhamad altanahi, eadad al'ajza'i: 5.
56. alujiz fi tafsir alkitaab aleaziza, 'abu alhasan eali bin 'ahmad bin muhamad bin ealiin alwahidii, alniysaburi, alshaafieii (almutawafaa: 468hi), tahqiqu: safwan eadnan dawudi, dar alqalam , aldaar alshaamiat - dimashqa, bayrut, ta:1, 1415 h.
57. wqafat tarbawiat fi daw' alquran alkarim: eabd aleaziz bin nasir aljalil eadad al'ajza'i: 3 altabeatu: althaaniat - 1419hi/1998m alnaashir: dar tibat - alriyad.